لحظات في المحطة

الكاتبة: مريم عايد إسماعيل

وأخيرًا، جاء بصيص الإنترنت إلى هاتفي، بعد اثنتين وعشرين ساعة قضيتها في القطار ثم في المترو، وبعد أن قرر برنامج الـ VPN ألّا يعمل لبضع ساعات.

وضعت حقيبتي الكبيرة في أمانات الحقائب في محطة القطار، وأخذت كوب قهوة من ماكينة القهوة. وأخيرًا وصلني إشعار من أخي على الـ WhatsAppيسألني عن أحوالي.

إذًا، قرر البرنامج أن يعمل.

وقبل أن أفتح أي شيء، اتجهت إلى تطبيق الـ Instagramوفتحته. رأيت أن أختي الصغرى نشرت ستوري على صفحتها من مكان الحدث ليلًا، لكنني رأيت القصة في اليوم الثاني.

يا للحسرة.

لماذا تبدو هذه الصور والفيديوهات التي ملأت برامج التواصل بهذا الألم؟

كنت أعلم أن يوم أمس سيكون يوم وصول جثمان السيد الخامنئي إلى العراق، وبالأخص إلى النجف الأشرف. ورغم معرفتي بأنني لن أكون هناك للحضور، شعرت برغبة في الاستعجال بالوصول إلى العراق.

طائرتي غدًا صباحًا، وأنا هنا في موسكو، بعد وصول قطاري، وبعد الكثير من الصعوبات في حجز طائرة ورحلة قطار، مع كل التعقيدات التي تحدث في منطقتنا.

أنا هنا أشعر أنني سجينة اليوم، وغدًا سأكون في مطار آخر، حبيسة بين الرحلات.

هل كنت سأحضر التشييع؟

وقفت هنا، عند باب محطة المترو، أنظر إلى الصور والفيديوهات. نزلت دموعي رغمًا عني. ربما ألمًا، وربما حزنًا، وربما الاثنين معًا.

يمر الناس بي، وأشعر أنني أتبخر.

لست هناك، ولا هنا.

أنا بين الأماكن؛ روحي في مكان، وجسدي في آخر.

أبكي بحرقة لهذه المشاهد، وأكثر ما أبكاني العبارة التي ترافق الكثير من الفيديوهات والصور لملايين المشيعين:

"يحسين ذيج الرسايل مومنا هاي احنا رسايلنا".

حزنٌ على إمامي المظلوم، ومعه حزنٌ على سيدنا الفقيد الصائم، يرافقه فخرٌ بأنني أنتمي إلى هؤلاء العراقيين هناك، وإن كنت لا أصل إلى ذرة من إخلاصهم وكرمهم.

أغادر المحطة، أمشي مثقلة بكل هذا الألم في قلبي.

حزينة ومتألمة، كأنه استشهد الساعة، وليس قبل عدة أشهر.

أدور في طرقات موسكو وأنا أحمل حقيبة ظهري. كم تمنيت أن يكون هناك أحد الآن، أقول له كم أنا حزينة. نمشي معًا في الطرقات، نتبادل أخبار ألمنا وفخرنا، ونتشارك القصيدة التي أستمع إليها الآن لسيد سلام الحسيني :**سلام وعن بعد**.

لربما غربتنا في هذه الحياة ليست فقط في المدن والدول، وليست في الجنسيات والقوميات.

ربما غربتنا هي غربة آلامنا، وفقداننا لنماذج منيرة كالسيد المستطاب، وبقاؤنا بعدهم متخبطين في هذه الدنيا الظالمة.

غادرت المحطة، لكنني لم أشعر أنني وصلت إلى أي مكان.

كنت أمشي في موسكو، وجسدي يحملني بين شوارعها، بينما بقي شيء مني هناك، بين أولئك الملايين.